

دور العلماء والطبقة المثقفة في الحياة السياسية والعلمية

والإدارية فترة الحمّاديين: (5-6هـ / 11-12م)

The role of scholars and the educated class in political, scientific and administrative life during the Hammadid period: (5-6 AH/11-12 AD)

لبزة محمّد ♦ دكتوراه علوم - قسم اللغة والحضارة - تخصص حضارة إسلاميّة - كليّة العلوم الإسلاميّة -

الجزائر 1، يوسف بن خدة m.labza@univ-alger.dz

طويل عبد القادر ، جامعة ابن خلدون-تيارت 2abdelkader.touileb@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/10 تاريخ القبول: 2025/06/10 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص: تتناول الدراسة دور طبقة من العلماء الذين عاشوا زمن حكم الدولة الحمّاديّة ، ففي هذه الفترة ، كانت المنطقة تشهد نشاطاً سياسياً وفكرياً كبيراً ، وبداية تراجع سطوة أتباع الخلافة العبيديّة ، وقد أمدّتنا كتب الأخبار و التراجم والتاريخ العام بمعلومات عن نشاط تلك الطبقة المثقفة ، وكانت المعلومات التي استقينها من تلك المصادر مهمّة لمعرفة نوع النشاط الذي مارسوه والمواقف التي أظهروها أيّام ملك الحمّاديين ، وانعكست حياة الفوضى التي شهدتها الدولة الزيريّة إيجابياً على الحمّاديين ، فظهرت معالمها في القلعة ثم بجاية ، وبرزت أسماء في وظائف رسميّة كالدّواوين والقضاء والوزارات ، وأنّضح كذلك وجود أعلام مرموقين عاشوا في حواضر تونس الزيريّة ، وكذلك في صقلية وغيرها من مدن المغرب الإسلامي والبلدان الإسلاميّة ، تميّزت حياتهم ونشاطهم بالمشاركة وربّما الاعتزال أو الحياديّة.

الكلمات المفتاحيّة: الحضارة ؛ الدولة الحمّاديّة ؛ التأييد ؛ المشاركة ؛ الانزواء.

Abstract:

The study deals with the role of a class of scholars who lived during the rule of the Hammadid state. During this period, the region witnessed great political and intellectual activity, and the beginning of the decline in the power of the followers of the Ubaid Caliphate. The books of news, biographies, and general history provided us with information about the activity of that educated class. The information we took from those sources was important for knowing the type of activity they practiced and the positions they showed. The chaotic life during the time of the Zirid state was reflected

♦ المؤلف المرسل

positively on the Hammadids. Its results appeared in the castle and then Bejaia, and names emerged in official positions such as the diwans, judiciary, and ministries. It also became clear that there were prominent figures who lived in the capitals of Zirid Tunisia, as well as in Sicily and other cities of the Islamic Maghreb and Islamic countries. Their lives and activities were characterized by participation and perhaps isolation or neutrality.

Keywords: civilization; The Hammadi state; support; participation; isolation.

مقدمة:

تعتبر الدولة الحمادية واحدة من الدول التي قامت بالمغرب الأوسط والتي كان لها حظ كبير من البحث والدراسة من قبل الباحثين الذين أضافوا اللثام عن تاريخها السياسي والعسكري كدولة رسخت وجودها وفرضت سلطتها في بلاد المغرب الأوسط وجانباً من إفريقية والمغرب الأقصى ، ومن الجوانب المهمة في تاريخ هذه الدولة والذي رأينا أنه يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة هو الجانب العلمي ، وخاصة دور العلماء والفقهاء في عصر الدولة الحمادية ، وكانت الإشكالية التي انطلقنا منها في هذا البحث الأكاديمي هي تحديد مكانة العلماء والفقهاء في العصر الحمادي وما هو الدور الذي أنيط بهم؟ كيف كانت نظرة أمراء بني حماد لهم؟ وهل تقلدوا مناصب ووظائف في دولتهم؟ وهل كانت لهم مشاركة في الحياة السياسية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التاريخي الذي يعتمد على تقصي الأخبار والمعلومات الواردة خاصة في كتب التراجم والطبقات ، وكتب التاريخ من مصادر ومراجع ودراسات حديثة ، من أجل إبراز مكانة العلماء في الدولة الحمادية وتحديد العلاقة التي كانت تربط بين الطرفين السلطة السياسية ممثلة في أمراء الدولة الحمادية والسلطة الدينية ممثلة في العلماء والفقهاء.

ظروف تأسيس الدولة الحمادية:

يرجع نسب الحمّاديين إلى صَنَهَاجَة كبرى قبائل المغرب الأوسط ، التي تضم سبعين بطناً أهمها تلكاتة بطن الزيريين والحماديين ، ولمتونة ومسوفة بطن المرابطين. وعلى حدّ قول ابن خلدون أنهم يشكلون ثلث قبائل البربر⁽¹⁾؛ في حين يرجع النسابة المؤرخون

1- ابن خلدون ، عبد الرَّحمان بن محمّد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج6 ، مراجعة: سهيل زكار وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1401هـ / 1981م ، ص: 201.

مثل الطبري والكلبي أنّ صنهاجة من أصل عربي وأنهم حميريّين من اليمن.² ما يعني قوّة النفوذ والسّلطة من جميع التّواحي على باقي التّركيبات القبليّة، ظهرت معالمها في اختيار الفاطميّين لبلكين بن زيري خليفة على سلطنة ملكهم في مناطق نفوذهم، وقد أظهر الأمير الصّنهاجي كفاءة عسكريّة تمثّلت في قدرته على تطهير المغرب الأوسط من نفوذ زناتة، وإبعاد خطر حلفاء الأمويّين عن دولة الفاطميّين، وكانت واقعة مقتل أبيه زيري بن مّناد كبير قبيلة الصّناهجة بداية ظهوره الفعلي، فبعد سماع خبر مقتل أبيه، انطلق من مدينة أشير، وبإعانة من الخليفة الفاطمي طهر المغرب الأوسط من خطر الزّناتيين وصولاً لسجلماسة المغرب الأقصى، ونظير ذلك عيّنه على مناطقها يخطب لهم على منابرهما. يعدّ فتح مصر من قبل قائد الجيش الفاطميّ جوهر الصّقليّ بداية انتقال حاكم الفاطميّين المركزيّ إليها، ومنه جرى ترتيب أعمال حواضر المغرب لمن يقوم عليه⁽³⁾، فوقع الاختيار على بلكين بن زيري⁽⁴⁾، وتمّت مراسيم التّولية في سردانية جنوب مدينة القيروان، وسماه يوسف، وكنّاه أبو الفتوح، ولقبه بسيف الدّولة عام 361هـ/971م⁽⁵⁾، وأكمل مهمّته في مطاردة عمّال الأمويّين وإخضاع المغرب الأقصى لسلطانه، فغزا مدنه وقتل خصومه واستولى على سجلماسة وبلاد الهبط، وعزف عن فتح سبتة⁽⁶⁾ لئلاّ رأى مدد الأمويّين يصل إليها⁽⁷⁾.

أثناء حملته المستمرّة على بلاد المغرب الأقصى، وفي طريقه شمالاً بعد أن أخضع قبائل برغواطة، أصابه المرض⁽⁸⁾، وقبل موته أوصى بتولية ابنه المنصور خليفة للفاطميّين على أفريقيّة والمغرب، وتعتبر فترة حكم المنصور بن بلكين بداية ظهور حمّاد بعد أن عقد له

2- بورويبة رشيد، الدّولة الحمّاديّة تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص: 6.

3- حسب رواية ابن الأثير فإنّ المعزّ وليّ بلكين أعمال إفريقيّة، والمغرب دون صقليّة، وطرابلس وأجداية وسرت. ينظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التّاريخ، ج 7، تحقيق: عمر عبد السلام مدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1417هـ/1997م، ص: 304.

4- حسب ابن عذاري والتّيجاني، جرى الاختيار على عدّة شخصيات، فلم ير أفضل من بلكين يصلح بعد أن أمن مكره، وعرفه وجّره. التّيجاني، عبد الله بن محمّد، رحلة التّيجاني، قدّم لها: حسن حسني عبد الوهّاب، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م/1401هـ، ص: 16-17. ابن عذاري، محمّد بن محمّد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وآخرون، دار الثّقافة، بيروت، ط 3، 1983م/1403هـ، ص: 296.

5- ابن خلدون، المصدر السّابق، ج 6، ص: 206. بورويبة، المرجع السابق، ص: 14.

6- بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص: 16.

7- ابن عذاري، المصدر السّابق، ج 2، ص: 243.

8- المصدر نفسه، ج 1، ص: 239. ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص: 401.

أخوه على أشير والمسيلة ، وتداول الحكم عليها مع أخيه يطوفت وعمّ أبيه أبي البهار⁽⁹⁾ ، وبعد وفاة المنصور 386هـ / 996م ، تولّى ابن أخيه باديس العرش ، ويذكر ابن عذاري أنّ باديس " عقد ولاية أشير لحَمَّاد ابن أبي الفتوح يوسف ابن زيري بن مَنَاد⁽¹⁰⁾ " ، كان ذلك حوالي 387هـ / 997م⁽¹¹⁾ ، وكان أهمّ إنجاز قام به لحساب باديس قمع أعمامه ، وقتال زيري بن عطية من جهة الغرب ، هذا الأخير الذي طرد من المغرب الأقصى بعد نكته على ابن أبي عامر⁽¹²⁾ ، وجّه جيشه ليستولي على المغرب الأوسط .

تظهر الروايات التي ساقها ابن عذاري وابن خلدون كيف استطاع حمّاد إثبات كفاءته في إخماد ثورات أعمامه خدمة لابن أخيه باديس ، وعكس ذلك ما وقع من مواجهة في تاهرت بين عسكر زيري بن عطية وجيش باديس الذي كان على رأسه حمّاد وأخيه يطوفت ، وبدعم من جيش إفريقية تحت قيادة محمّد بن أبي العرب ، انهزمت جيوش باديس بعد أن أساء حمّاد عشرة عسكره⁽¹³⁾ .

بعد انهزام حمّاد أمام عسكر زيري بن عطية ، وقعت ثورات من أعمام أبيه ، وكان يتولّى المهمة بنجاح لحساب ابن أخيه باديس ، كان أهمّها قتل ماكسن وثلاثة من أبنائه ، ويعتبر الموت المفاجئ لعدوّ أسرة الزيريين في إفريقية زيري بن عطية بداية ظهور حمّاد في المنطقة ، ولكون المهمة التي أوكل بها قد انتهت بموت غريمه⁽¹⁴⁾ ، أراد باديس استدعاء عمّه إلى إفريقية لولا تجددّ الخطر من المعزّ بن زيري الذي خلف أباه على قبائل زناتة . أتيح لحمّاد فرصة ثانية لإثبات جدارته أمام المعزّ ابن خصمه زيري بن عطية ، ووعدّه باديس بأعمال المغرب الأوسط إن نجح ، كان ذلك في عام 395هـ / 1004م ، وفي هذه المرة استطاع طرد خصمه والاستئثار بسلطة المغرب الأوسط عام 398هـ / 1007م ، وسمح له بتمصير مدنها ، فبنى القلعة التي تنسب إليه باسم قلعة حمّاد أو قلعة أبي طويل على رأس المائة الرابعة⁽¹⁵⁾ ، ولأنّ توجّه حمّاد في تقوية نفوذه وتحصين المدن وإعمارها ، أثار ذلك انتباه خصومه ، ورأى باديس أن يختبر نوايا عمّه وينظر في مقصده .

9- ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص: 207.

10- ابن عذاري ، مصدر سابق ، ص: 248.

11- يرى ابن الأثير أن تولية حماد أشير وقعت عام 386هـ عكس رواية ابن عذاري المراكشي. ينظر إلى

كتاب الكامل: المصدر السابق ، ص: 485.

12- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص: 252.

13- نفس المصدر ، ص: 250. ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص: 208.

14- روية ، الدولة الحمّادية ، ص: 20.

15- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص: 209.

اتَّخذ الأمير الزَّيري باديس بن المنصور قرار تقليص نفوذ عمِّه حمَّاد ، وأراد تولية هاشم بن جعفر خليفة عزيز الدولة المنصور بن باديس على قسنطينة ، وتيجس ، وقصر الإفريقي ، وقام بتحميل إبراهيم بن بلكين أخا حمَّاد رسالة سلطانية تتضمن تولية الأعمال الثلاث ، ويسير بصحبة هاشم في موكب رسميٍّ إلى صاحب القلعة ، كان ذلك عام 405هـ/1015م ، ولكنَّ هاشماً تخلف عن السَّير وعلم الخيانة قبل وقوعها ، فقد أرسل إبراهيم لأخيه حمَّاداً يطلعه ، فتشاور معه وأعلنَّا الثَّورة على سلطان خليفة الفاطميين ، وتضمَّن التَّحدي إعلان البيعة للخلافة العبَّاسية ونبذ طاعة الفاطميين ، والهجوم على مدينة باجة أين كان يتمُّ التحضير للسَّير بالموكب وقام بقتل أهلها وتخريبها وقتل أعداد كبيرة من الشيعة ، أو كما يسمُّونهم بالمشاركة ، وهي دعاية صريحة للمذهب السُّني وإعلان التَّمرد الفكري ، ويمكن أن نفهم من كلِّ ذلك دور طوائف الشيعة في حروب الأسرة الزَّيرية المنقسمة ، ووزنهم في المواجهة العسكرية ضدَّ حمَّاد وأخيه أثناء هذه الفترة ، لأنَّه عمل على إثارة النَّاس والعلماء⁽¹⁶⁾ تأسيّاً بثورة مخلد بن كيداد الخارجي ، (تـ. 335هـ/947م) فالتَّهديد الذي أحدثه كان بمثابة زلزال حقيقيٍّ في المنظومة كلّها.

وحسب ترتيب الأحداث ، فبعد عودة الاستقرار عقب إثارة سكَّان تونس ومعاقبة المتعاطفين مع حمَّاد وأخيه ، ونتيجة لذلك كانت الأحداث أشدَّ سخونة ومصيرية ، وتشهد معركة واد شلف بين جيش الحمَّاديين والأمير الزيري باديس على شدَّة المواجهة ، حيث ألحق جيش إفريقية بقيادة باديس هزيمة قاسية بجيش الحمَّاديين ، وكاد أن يقتل لولا اشتغال العساكر برفع الغنائم⁽¹⁷⁾ ، وحسب سرديَّة الأحداث التي ساقها ابن عذارى عن ردِّ فعل حمَّاد بعد الهزيمة ما فعله بأهالي مدينة دكامة من قتل دون تمييز وسلب لطعامهم . إنَّ سياسة العنف التي انتهجها حمَّاد مع أهالي حواضر المغرب الأوسط وحلفائه وحتى عساكره أثَّرت على مكانته وسمعته ، وكان من السَّهل إغراء أتباعه وعسكره بالمال لينظَّموا إلى صفوف غريمه باديس⁽¹⁸⁾ ، ومن ناحية أخرى كانت الأقدار في صفِّه وهو في قلعته التي بناها محاصراً مع أخيه إبراهيم ، عندما فاجأ الموت الأمير باديس وهو في انتظار

16- شملت دعايته التَّركيز على أعيان القوم ووجهائهم من الأعيان والعلماء ، وكانت استجابة بعضهم كشيخهم في تونس محرز بن خلف وتبعه في ذلك أتباع المذهب السُّني عام 406هـ/1015م. مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التَّواريخ والأخبار ، ج1 ، تحقيق: علي الزَّاوي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1988م/1408هـ ، ص: 368.

17- ابن الأثير ، مصدر سابق ، ص: 602..

18- بورويبة ، الدَّولة الحمَّادية ، ص: 28.

سقوط حصن الحمّاديين ، ليرفع الجيش الزّيري حصار القلعة ويعود إلى إفريقية مشيعاً قائده (19) ، يوم 8 محرم 407هـ / 11 يونيو 1016م.

بعد هذه المرحلة العسيرة التي كانت ستسبق نهاية حلم تكوين مملكة موازية لمملكة آل زيري ، أراد المعزّ الذي ورث أباه باديس على العرش إنهاء التمرد بنفسه ، لأنّ حمّاداً أحدث تمرداً آخر بهجومه على حلفائه في أشير ، واحتلّ المسيلة وحاصر باغاية (20) ، فهزم جيش حمّاد وتفرّق عنه أصحابه بعد أن أصابته جراحة (21) ، لينتهي الصراع بإبرام اتفاق استسلام يرسل فيه حمّاد ابنه القائد ، ويتنازل عن بعض الأعمال ، ويكون له ما يفتح من بلاد المغرب (22) ، كان ذلك ابتداء من 408هـ / 1018م.

النشاط العلمي والثقافي في المغرب الأوسط عهد الحمّاديين:

قبل الحديث عن الحياة العلمية والثقافية ، تجدر الإشارة إلى أنّ الامتداد الذي طاله ملك الحمّاديين تنازعتهم قوميات مختلفة ومدارس فكرية سنيّة وشيعيّة وإباضيّة ، وكان للتّيار السّنيّ والشّيعي الفاطمي التأثير الأعمّ بحكم العلاقة التي ربطت آل زيري بالفاطميّين في المغرب الأوسط ، فهم حائط الصدّ الأوّل أمام تمدّد أتباع الأمويّين من جهة الغرب. وقبل بناء القلعة كانت المحمّديّة (المسيلة حالياً) تزدهر بالثقافة العربيّة على نمط حواضر تونس الفاطميّة ، فأسرة بني حمدون (23) تولّت تسيير شؤون المنطقة نيابة عنهم ، ومنه كان التّواصل الحضاري والتّمازج الثقافي ، وترجع بعض الدّراسات (24) أسباب قدوم الأسرة من الأندلس وتولّي الأعمال الخاصّة في ظلّ حكم الفاطميّين لكون الأسرة متشعّبة من الأساس ، وكان قرار أبو القاسم محمّد القائم ولي عهد عبيد الله المهدي ببناء مدينة المسيلة عام 315هـ / 927م ، وأسند المهمّة لعلي بن حمدون (25) ، ولطبيعة تكوين الأسرة

19- ابن عذاري ، مصدر سابق ، ص: 268.

20- المرجع السّابق ، ص: 30- 32.

21- ابن الأثير ، المصدر السّابق ، ص: 605.

22- ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص: 228.

23- المعروف بالأندلسي ، وهو حمدون بن سهلك بن سعيد بن إبراهيم... ينتهي نسبهم إلى قبيلة جذام اليمنيّة. ابن حيّان ، أبو مروان القرطبي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق: عبد الرّحمان علي الحجيّ ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965م / 1385هـ ، ص: 33.

24- نور الدّين مسعودي ، دور عائلة بني حمدون في تثبيت أركان دولة الفاطميّين بالمغرب (280-360هـ / 893-970م) ، مجلّة الحكمة للدّراسات التّاريخيّة ، الجزائر ، مجلّد: 6 ، عدد: 15 ، 2018م / 1428هـ ، ص: 226.

25- وهي رواية الإخباريّين وكتب الجغرافيا كالبكري أبو عبيد. انظر في كتابه: المسالك والممالك ، تحقيق: أدريان فان ليوفن وآخرون ، الدار العربيّة للكتاب ، تونس ، 1992م / 1412هـ ، ص: 722.

الأندلسي ، فقد عملوا باستقلالية في إدارة المدينة وأحوازها ، فقصدتهم العلماء والشُعراء⁽²⁶⁾ ، وعمَّرها سكَّان الزَّاب والمناطق المجاورة⁽²⁷⁾ .
إنَّ الإمكانات الاقتصادية التي استفردت بها المدينة هي التي أهلتها حتَّى استبحر عمرانها وصارت نواة تأسيس القلعة فيها بعد.

وكما علمنا سابقاً ، فإنَّ مؤسس الدولة حمَّاد بن بلكين سار في اتِّجاه الاستقلال بالمغرب الأوسط ، ولتثبيت سلطانه قام بنقل سكَّان المسيلة عنوة إلى القلعة التي بناها ، ونقل سكَّان سوق حمزة (البويرة حالياً) وخربها⁽²⁸⁾ ، ومن خلال استقراء الأحداث التاريخية فإنَّ الحروب السَّجال بين فرعي الأسرة الزَّيرية هي التي خرَّبت عمران المنطقة وسبَّبت هجرة ديمغرافية مستمرة ، ولأنَّ فترات الاستقرار التَّسبي أظهرت وجود نشاط فكري وحركة علمية ، ظهرت معالمها في بروز أسماء لامعة تلقت تعليمها الأوَّل في المنطقة ، ثمَّ هاجرت إلى الأندلس⁽²⁹⁾ ، ومنه وصلتنا تراجمهم وسيرهم.

استفادت القلعة التي بناها حمَّاد من خبرة الوافدين إليها ، فالحياة المتنوعة بالذَّاخل خلقت جوّاً تنافسياً سلمياً بين تلك الطوائف⁽³⁰⁾ ، وإن كان حمَّاد لم يخف ميوله السُّنِّيَّة بتمكينه أتباع المذهب المالكي من إدارة مفاصل دولته⁽³¹⁾ ، لم يعن ذلك أنَّه حارب التَّيارات المناوئة للمذهب السُّنِّي⁽³²⁾ ، فقد عني مدَّة استقراره على الأمن في المنطقة وتوسيع مساحة ملكه في الوقت نفسه لغاية وفاته سنة 419هـ/ 26 يوليو 1029م ، ومع بداية توافد القبائل الهلالية على المنطقة وإشاعتها الفوضى والتَّخريب في حواضر

26- ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص: 108.

27- ابن حمَّاد الصَّنْهَاجِي ، أخبار ملوك بني عبید وسيرتهم ، تحقيق: التَّهَامِي نكرة وآخرون ، دار الصَّحوة للنَّشر والتَّوزيع ، القاهرة ، ص: 47.

28- المصدر السَّابق ، ج 6 ، ص: 227.

29- عمَّار هلال ، العلماء الجزائريُّون في البلدان العربيَّة الإسلاميَّة فيما بين القرنين التَّاسع والعشرين الميلاديَّين (14/3هـ) ، ديوان المطبوعات الجامعيَّة ، الجزائر ، ط 2 ، 2010م / 1430هـ ، ص: 15.

30- علي سبيل المثال حظي المسيحيُّون ببناء كنيسة سنة 507هـ/ 1114م ، وتمتَّنت العلاقة بي التَّاصر بن علبناس الحمَّادي وبابا الفانيكان غريغوار السَّابع. ينظر في ذلك إلى: بورويبة ، مرجع سابق ، ص: 165.

31- على العكس من ذلك وجَّه الإسماعيليَّة نظمهم لمحاربة الاتِّجاه السُّنِّي ، بينما مارس الحمَّاديُّون نظمهم في الإطار المذهب المالكي السُّنِّي. ينظر إلى: الطُّمَّار محمَّد ، المغرب الأوسط في ظلِّ صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعيَّة ، الجزائر ، 2010م / 1430هـ ، ص: 188.

32- ينقل الكثير من الإخباريِّين عن حمَّاد إعماله السَّيف ضدَّ خصومه ، وكان دافعه الانتقام أو إخضاع الخارجين عن طاعته ، أمَّا عن الرِّافضة فأعمل فيهم السَّيف بدافع سياسي حين خلع طاعة العبيديِّين وترضى عن الصَّحابة ، ودعا لبني العبَّاس. انظر: ابن خلدون ، المصدر السَّابق ، ج 6 ، ص: 228.

تونس⁽³³⁾، استوعبت القلعة الحصينة أعداداً كبيرة من مختلف الفئات ، وكانت قبله العلماء في مختلف التخصصات ، أشهرهم المازري وابن النحوي . تعتبر هذه المرحلة مهمة في التكوين الثقافي للمجتمع الحمادي ، فقد لعبت حواضرها المستقرة دوراً في تأمين الحياة وبناء مؤسسات تعليمية تستجيب للمتطلبات ، وكان لأبناء حماد مساهمة في عملية تمصير وازدهار المغرب الأوسط وحمايته ، وحتى بعد انتقال عاصمة ملك أبيهم⁽³⁴⁾ إلى بجاية ، حافظت هذه الأخيرة على المكانة السياسية والعلمية كأحد أهم مراكز الإشعاع الحضاري ، خصوصاً وأنها استوعبت وأفدين جدد من الأندلس أكثر نضجاً وأغزر علماً من سابقهم ، فقد أسسوا لطرق جديدة في التعليم بدل التلقين⁽³⁵⁾.

نماذج من مشاركة الفقهاء والعلماء:

تعدّد مجالات إسهام العلماء حسب اختصاصاتهم وكفاءتهم وحسب الطلب كذلك ، ولذا نجد معايير الكفاءة واضحة في سيرة هؤلاء الأعلام ، ونبدأ بأهم المناصب:

أولاً: الإسهام في مجال القضاء:

لا تختلف النظم التي أحدثها الحماديون عن نظم الزيريين ، فتعيين القضاة مثلاً كان يتم بأوامر سلطانية ، ويكون الاختيار من ذوي الكفاءة والعدالة⁽³⁶⁾ ، وعادة ما يخضع لمعايير سياسية ، وأحياناً إيديولوجية⁽³⁷⁾ ، فحماد وأبناؤه من بعده ساروا على نهج استقلالية القرار وحتى الفكر ، ويمكن اعتبار خطوة حماد نحو إلغاء الخطبة للفاطميين وتمكين أتباع المذهب المالكي ، يعدّ استجابة لها عليه الرأي العام ، واستمالة للمتعاطفين مع الأمويين من بعض القبائل ، فالحروب التي خاضها مع زناتة وحلفائهم اكتست هذا الطابع ، وقراره هذا يفرغ المواجهة من محتواها الدّعائي.

33- تربط دوائر الاستشراق فكرة الغزو الهلالي وآثاره وتبعاته بالسقوط والاضمحلال الذي أصاب المغرب الإسلامي ، وتتبنى المدرسة الفرنسية هذه النظرية. راجع في ذلك: علاوة عمّار ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 2010م / 1430هـ ، ص: 11.

34- حول مسار القلعة التاريخي راجع ما كتبه علاوة عمّار: المرجع نفسه ، ص: 83.

35- انظر في ذلك: عنان عبد الله ، مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط ، مجلة الأصاله ، الجزائر ، عدد: 13 ، السنة الثالثة ، 1974م / 1394هـ ، ص: 194.

36- ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص: 280.

37- بورويبة رشيد ، لقبال موسى وآخرون ، الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م / 1404هـ ، ص: 123.

في بداية التأسيس توزّع نفوذ الأسرة الزييرية على مدن المغرب الأوسط ، وأسند لكل واحد منهم مهمة التسيير وإدارة مناطقه ، وكان من الطبيعي أن تتكوّن حاشية إلى جانب المسؤول ، فالمنظومة تكاد أن تتشابه في نوعيّة الإدارة ، وضبط أحوال المديّنين تخضع للمسؤول الأوّل أو من يعيّن بالنيابة ⁽³⁸⁾ ، وتذكر المصادر التي ركّزت على شخصيّة حمّاد مؤهلات اكتسبها من شيوخ القيروان ⁽³⁹⁾ ، وأنّه جمع حاشيته في القلعة ليتشاور معهم على اختيار المذهب السني المالكي لإدارة القضاء ونظم دولته .

وأظهر الصراع بين فرعي الأسرة الزييري اعتماد حمّاد على بعض أبنائه وإخوانه في الوساطة والصّلح ، كابنه القائد وأخيه إبراهيم ، ومن جهة أخرى استعان باديس ابن المنصور بأعمامه في المنطقة مباشرة ، أي أنّ أحكام القضاء والشخصيّات العلميّة قد غيّبتها السياسة ، وبقي تأثيرها المحليّ محدوداً ، وخاضعة لرغبة ملوك الدّولة من بداية تأسيسها لغاية زوالها ⁽⁴⁰⁾ ، وبالمقارنة مع نظيرتها في إفريقية ، كانت تقاليد تعيين القاضي تتمّ وفق مراسيم ملكيّة في العلن ، وعبر الوراثة من أسرة عربيّة ثريّة ⁽⁴¹⁾ .

وإذا نظرنا إلى بعض الشخصيّات التي زارت القلعة ، فإنّ تعيينهم لم يخضع للشهرة ، وكانوا يقضون بفتاويهم ، ولا يقطعون أمراً يخالف إجماعهم ، منهم أبو الفضل يوسف بن محمّد ، أصله من توزر ولقب بابن النّحوي (تـ. 433-513هـ/1041-1065م) ، زار القلعة والتقى بأحد مفتيها وهو "ابن عصمة" كما تذكره المصادر ⁽⁴²⁾ ، وفي مدّة إقامته تفقّه على يديه

38- استعان الحمّاديون على تسيير أمورهم زمن الغزو الهلالي بجماعة الشيوخ من ذوي الخبرة. انظر: الميلي ، محمّد بن مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 2 ، تقديم: محمّد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ، 1406هـ/1986م ، ص: 237.

39- ابن الخطيب ، محمّد بن عبد الله ، أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، (القسم الثالث) ، تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي وآخرون ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1383هـ/1964م ، ص: 85.

40- الهادي روجي إدريس ، الدّولة الصّنهاجيّة تاريخ إفريقية فيعهد بني زييري من القرن 10 إلى القرن 12م ، ج 2 ، ترجمة: حمّادي السّاحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1992م/1412هـ ، ص: 166.

41- نفس المرجع ، ص: 65.

42- لم تترجم له المصادر. ينظر إلى: ابن الزّيّات ، يوسف بن يحيى ، التّشوّف إلى رجال التّصوّف وأخبار أبي العبّاس السّبّتي ، تحقيق: أحمد التّوفيق ، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة ، الرّباط ، ط 1 ، 1404هـ/1984م ، ص: 101.

الكثيرين ؛ كالفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن علي ، المعروف بابن الرّامة (ت. 567هـ/ 1172م)⁽⁴³⁾ ، والفقيه أبي عمران موسى بن حمّاد الصّنهاجي (ت. 535هـ/ 1141م)⁽⁴⁴⁾.
كان لابن النّحوي تأثير كبير عندما التزم بموقفه المتمثّل في وقوفه ضدّ قرار إحراق كتاب الإحياء للغزالي ومساندته لعلماء تلمسان والمغرب الأقصى والأندلس ، حين حملت سلطة دولة المرابطين النّاس على نبذ كتب الكلام والمنطق والتّصوّف ، وكذلك تجرّؤه على تدريسه في أحد مساجد سجلياسة⁽⁴⁵⁾ ، وواجه في ذلك جماعة الفقهاء الرّسميّين بفاس.
(46)

وبالرّجوع إلى ابن الرّامة ، تلميذ ابن النّحوي ، يمكن ملاحظة نشاطه الفكري من خلال التّرجمة الموجزة التي أفردت له ، فهذا القاضي كان شافعيّ المذهب ، ومن المعتكفين على كتاب الغزالي المسمّى بـ "البسيط" ، وله مشاركة في العلوم الفلسفيّة⁽⁴⁷⁾ ، ولشهرة فضله استخلصه أمير دولة المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين ، لخطّة القضاء بحاضرة فاس ، لجملة الصّفات التي تحلّى بها ؛ كالعدل والإنصاف وشدّته على المعتدين⁽⁴⁸⁾ ، أمّا في ترجمة ابن الأّبّار ، فهو غير صالح لخطّة القضاء لضعفه ، وتمّ تأخيرها عنها⁽⁴⁹⁾.

43- أبو عبد الله محمد بن محمد ، الذيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة ، ج5 ، تحقيق وتعليق: إحسان عبّاس وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 2012م / 1432هـ ، ص: 217. هناك الكثير من فقهاء مدينة توزر وردت تراجمهم ضمن أعلام المنطقة. انظر كذلك الصّفحة: 77.
44- المصدر السّابق ، ص: 96.

45- نفس المصدر ، ص: 98.

46- كان قاضي المدينة آنذاك عبد الحقّ بن عبد الله ابن دُبّوس اليفريني ، وكان بيته بيت علم وثروة بفاس ، توفيّ سنة 557هـ/ 1162م. انظر: الحميدي ، محمد بن فتوح ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ج2 ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط3 ، 1410هـ ، 1989م ، ص: 388.

47- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر ، ج1 ، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة ، بيروت ، ط2 ، 1400هـ/ 1980م ، ص: 152.

48- ابن عبد الملك الأنصاري الأويسي المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد ، الذيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة ، مج5 ، تح ، إحسان عباس وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 2012م ، ص: 219.

49- ابن الأّبّار ، محمد بن عبد الله ، التّكملة لكتاب الصّلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدادة زبيدين في مجريط سنة 1886. 1889 ومن طبعة الشيخ قنزالش بلنسية في مجريط سنة 1915) ، ج2 ، عني بطبعه وتعليق حواشيه: ألفريد بال ، وابن أبي شنب ، المطبعة الشّرقية للأخوين فونطانا في زقاق بيليسي عدد 3 بالجزائر ، 1337هـ/ 1919م ص: 152.

الشخصية النموذجية الثانية ، القاضي موسى بن حمّاد الصنهاجي الذي تولّى خطة القضاء بفاس عهد المرابطين كذلك ، تميّز عن مواطنه بالشهرة الواسعة والفضل والعدل ، ودامت له إلى أن توفي⁽⁵⁰⁾ ، والملاحظ على هاتان الشخصيتان التكوين الجيد والاحتكاك بمشاهير العلم بداية من القلعة في الداخل ثمّ الأندلس وحوضر المغرب الأقصى في الخارج.

يمكن القول بأنّ قضاة أقاليم دولة بني حمّاد كانوا متحرّرين من قيود الجمود والمتابعة ، وأنّ المدرسة الفقهية في القلعة أثّرت وتأثّرت من خلال جوّ الانفتاح العام⁽⁵¹⁾ ، فملوك بني حمّاد أرادوا إعمارها والمنافسة بها.

ترصد كتب الرحلات واقع الحياة عن قرب ، ورحلة محمد بن الله بن تومرت الهرغي (تـ 524هـ/1130م) إلى بلاد بني حمّاد ركّزت على هذا الجانب- وإن كانت الرواية من أحد أتباعه ومريديه- وهو بصدد إظهار سيّده كرجل مصلح ومشفق على حال النّاس وضعف علم قضاةهم وفساده ، وذكر البيهقي أنّ المهدي بن تومرت التقى في قسنطينة بقاضيها قاسم بن عبد الرحمن ، وأنّهم يضربون السّارق بالسّياط ولا يقيمون عليه الحدّ⁽⁵²⁾ ، أمّا في رحلته الثانية إلى بجاية ، وكان قاضيها عبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي ، أنكر على عليهم لباسهم وتشبّه صبيانهم بالنّساء واختلاط الرجال بالنّساء في الأعياد⁽⁵³⁾.

تمدّنا رواية البيهقي بجملة من المؤشّرات ، كحالة المجتمع وابتعاده عن قيم الدّين والعادات ، وتهاون الفقهاء المعتمدين في تطبيق الحدود الشرعيّة ، والظّاهر أنّ القضاة كانوا مقيّدين بأوامر سلطانيّة ، تمنعهم من الإنكار بحضرة السّلطان أو تساير أحوال وأوضاع العامّة.

ثانياً: الإسهام في الكتابة والإنشاء⁽⁵⁴⁾:

50- ابن بشكوال ، الصّلة ، ج3 ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1410هـ/1989م ، ص: 884.

51- عويس عبد الحليم ، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري ، دار الصّحوة للنّشر للتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1411هـ/1991م ، ص: 239.

52- البيهقي ، أبو بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرّباط ، المغرب ، 1971م/1391هـ ، ص: 12.

53- المصدر نفسه ، ص: 13.

54- يرى القلقشندي أنّ العرف فيما تقدّم من الزّمان خصّ الكتابة بصناعة الإنشاء حتّى أنّه إذا أطلق لفظ الكتابة لا يراد بها غير كتابة الإنشاء. القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج1 ، شرح وتعليق: محمّد حسين شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1407هـ/1987م ، ص: 82.

بالوقوف على عَيِّنَات عديدة من الرِّسَالِ الرِّسْمِيَّةِ أو ذات طابع شخصي ، ومن خلال بروز أسماء كُتَّاب مشهورين ، سواء كانوا مستقرِّين يعملون في دواوينها أو خارج حدود الدَّولة ، يمكن ملاحظة جودة ما وصل إلينا عن تلك الفترة ، فالأعمال وصلت لقمَّة الإبداع والمعارف الإنسانيَّة (55)

يتمُّ اختيار هذه الكفاءات من أرفع الطبقات ، ويشترطون المروءة والحشمة والتفوق العلمي ، وعارضة البلاغة (56) ، فالرِّسَالِ الرِّسْمِيَّةِ في المناسبات والأعياد والتَّهاني بالنَّصر ومخاطبة الرَّاأي العام من أولويَّات الملوك ، ولهذا تفوَّقت قيمة الخطَّة على مرتبة قائد الجيش في الدَّولة (57) ، واعتمدت على أسماء بارزة مؤهَّلة محليًّا ، تقتصر في ذكر البعض منها.

يعتبر كاتب الدَّولة أبي عبد الله محمَّد الكاتب ، الملقَّب بـ"ابن الدِّفِير" (كان حيًّا سنة 547هـ/1151م) ، من أهمِّ الشَّخصيَّات في بلاط الأمير الحمَّادي يحيى بن العزيز في بجاية ، وإليه تنسب رسالة الاستنجد التي بعث بها في أحياء بني هلال العربيَّة ، يطلب نجدة المدينة من عساكر عبد المؤمن الموحِّدي ، وقد أماطت رسالته اللِّثام عن حقائق عن الدَّاخِل وخيانة الأمير الحمَّادي لواجبه وتقصيره في الدِّفاع ، إضافة إلى سياسته الخاطئة مع رعيَّته وحاشيته (58) ؛ وهو ما يفسِّر قرار هذا الكاتب الانفرادي بمراسلة منازل بني هلال المجاورة للمدينة ، وهذا وإن دلَّ على قوَّة صاحب هذه الخطَّة وتجاوز صلاحية الأمير نفسه أحياناً وقت الشِّدَّة.

يقوم كاتب الرِّسَالِ بضبط الدِّباجة وفق معايير ملكيَّة ، ويتمُّ التَّركيز عادة على تقاليد الولاء والبيعة مذكِّراً بضرورة الالتزام بها ، وتكون المناسبات فرصة لتأكيددها ، وفي رسالة "ابن الدِّفِير" دعوة صريحة إلى إبطال بيعه الأمير الحمَّادي ، بأن تتدخَّل قبائل بني هلال ، ومن المعروف عنهم سطوتهم ، وعلاقتهم المعقَّدة مع الدَّولة (59).

55- مغشيش عبد المالك ، الثَّغر المغرب في القرنين الرَّابِع والخامس الهجريَّين ، دراسة تأصيليَّة فنيَّة ، إشراف: عبد الرِّزاق بن السَّبع ، أطروحة مقدَّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب المغربي القديم ، كليَّة الآداب واللُّغات ، قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 1435هـ / 2014م ، ص: 78.

56- ابن خلدون ، المقدمة ، ص: 193.

57- مغشيش ، المرجع السَّابق ، ص: 157.

58- نقل نصَّ الرِّسالة: الأصفهاني ، محمَّد بن صفِّي الدِّين ، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب) ، ج1 ، تحقيق: محمَّد المرزوقي ، وآخرون ، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر والتَّوزيع ، ط3 ، 1986م / 1406هـ ، ص: 180.

59- بورويبة ، الدَّولة الحمَّاديَّة ، ص ص: 119-120.

في نصّ الرسالة الثانية ، يطلعنا كاتب الدولة المعروف باسم "ابن القالبي" ؛ وهو أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب (كان حياً قبل 561هـ/1166م) عن ديباجة ملكية ترتبط بتولية أحد أمراء الدولة ، ولا شك أنّ هذا النوع من البيانات كان يلقي على مسمع ومراى الناس من مختلف الطبقات ، ويتمّ استنساخه وتوزيعه على أقاليم الدولة ، إذ يؤكّد الكاتب بضرورة التزام الخليفة بنهج من سبقه ، وهو شرط أساسي كما يظهر من صياغتها⁽⁶⁰⁾. وبالمقارنة بين الرسالتين ، فالرسالة الأولى يلغي فيها الكاتب بيعة الأمير ويثبته بالتأمر والخيانة ، ويدعو للتدخل لحماية الدولة ، بينما الرسالة الثانية تدعم هذا الاتجاه الذي يوصي بضرورة الوفاء بالبيعة والتذكير بشروطها ، وهنا نعود لطريقة قيادة الدولة في بداية تأسيسها كيف كانت تسير بشكل انفرادي ، ولم يكن يسمح ببيانات من هذا النوع على المستوى الشعبي .

وكانت لابن القالبي تجربة خارج إطار المملكة ، فبعد أن ضمّ عبد المؤمن الموحد بجاية ، أسند إليه الكتابة ، وقام هذا الأخير بفصل الخطّة عن الوزارة وجعلها مستقلة⁽⁶¹⁾ ، كما هي عند الحمّاديين ، أكثر نضجاً وأحسن إدارة وأكثر كفاءة ، أي أنّ المنظومة واصلت حضورها عبر الأسماء المنتشرة ، سواء ذكرتها المصادر أو غيّبتها السياسة والأحداث. وعن طبيعة العلاقة التي كانت تجمع الأمراء بكتابهم ، نعود إلى يحيى بن العزيز آخر ملوكهم الذي تهاون في الدفاع عن بجاية ، وكانت رسالة الاستغاثة التي بعث بها كاتب دولته المعروف بـ "ابن الدّفرير" يستنجد بعرب بني هلال ، والذي أقام علاقة متينة بكتاب يدعى أبو حفص عمر بن فلفول ؛ ويقول عنه ابن بشرون أنّه كاتب السلطان ، وبأنّه من خاصّته ، وصاحب سرّه ، وله اليد الطولى في الإنشاء⁽⁶²⁾ ، وإليه تنسب قصيدة مدحه فيها حين اجتمع به في صقلية ، وهذا يدلّ على خطورة خطة الكتابة التي لا تسند إلا لمن تتوفّر فيه الأمانة ، فأسرار السلطان وحاشيته ومهّمات أعوانه وجنده يطّلع عليها ، وهو حلقة الوصل بينها ، تماماً كالمؤسسات الإعلامية في وقتنا.

العلماء والفقهاء بين التأثير والتأثر:

60- اراجع نصّ الرسالة: لأصفهاني ، خريدة القصر ، مصدر سابق ، ص: 180-181.

61- المراكشي ، محيي الدين بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (الكتاب الثالث) ، تحقيق ، محمد سعيد العريان ، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويصة ، بدون رقم الطبعة وتاريخها ص: 266-267.

62- الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص: 179.

من خلال هذا العنوان سنحاول عرض جملة من المواقف المتباينة لبعض العلماء والطبقة المثقفة في الدولة الحمّاديّة، وأخذ انطباع عن موقفها ممّا يجري حولها من أحداث.

أولاً- سياسة الحياد واعتزال الحياة السياسية:

لا ينظر للعزلة بمعناها الحقيقي؛ أي عدم وجود اتصال واحتكاك بالآخر، لأنّ ذلك يفرض واقعاً سلبياً لا يكون معه مجال للمشاركة وإبداء للرأي وتحمل للمسؤوليات وبذل للتضحيات، إنّ واقع علماء أهل المغرب عامّة كما تثبته المصادر وتؤكّده الدّراسات، يؤكّد الدور الإيجابي الذي طبع حياة علمائها وطلبة العلم ومثقفيها في الغالب، ومنه سنحاول استعراض صور من حياة البعض، وتوصيف سلوكهم إيجاباً وسلباً.

يرى طائفة من العلماء الاعتزال وقت الفتن، واجتناب أهل الشرّ ومخالطتهم بالقلب والعمل⁽⁶³⁾ أمر ضروريّ، يقرّه الشرع⁽⁶⁴⁾، وفي هذا الاتجاه نجد طائفة سارت نحو الانقباض عن الدنيا بعيداً عن تأثير السياسة ومحيط السّلطان، ووصل الحدّ ببعضهم لدرجة اليأس والفشل وتذكر المصادر عن أحد شعراء القلعة المبرزين، وهو محمّد بن عبد الله بن زكريّا، الملقّب بالأصمّ (أواخر ق 5هـ/11م)، أنّه سافر إلى المشرق العربيّ باحثاً عن مكانة وحظوة تليق به، ثمّ عاد لينتهي به الأمر في مصر دون قوت أو زاد يعينه على سفره⁽⁶⁵⁾، ومنهم كذلك الفقيه عبد الرّحمان بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني (تـ 411هـ/1020م)، الوهراني⁽⁶⁶⁾، عرف عنه الصّلاح والانقباض عن الدّنيا، واشتغاله بالتجارة وطلب العلم، وملازمة بيته وقت الفتن.

قد رأينا كيف تعامل حمّاد مع خصومه، ومع الأصوات التي ارتفعت صادحة بالحقّ؟ فحكّام الدولة قبل فترة الاستقرار واجهوا كلّ أنواع التّمرد بقوة السيّف، وابن عذاري المراكشي أورد ما فعله حمّاد ببعض الصّالحين والفضلاء من مدينة دكّامة التي تقم على أهلها⁽⁶⁷⁾، فمن الطّبيعي أن يكون حال الكثير منهم زاهداً متفرّغاً للعلم والعبادة أو التجارة والعمل، بعيداً عن سياسة الملوك.

63- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 17، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، 1387هـ/1967م، ص: 446.

64- العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح البخاري، ج 11، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي وآخرون، نشر المكتبة السّلفيّة، مصر، ط 1، 1380/1390هـ، ص: 330.

65- ينظر إلى: نويهض، مرجع سابق، ص: 17.

66- ابن بشكوال، الصّلة، مصدر سابق، ص: 305.

67- ابن عذاري، مصدر سابق، ج 1، ص: 265.

هناك اتجاه آخر فضل العزلة الإيجابية ، ويمكن التمثيل له بالأربطة (68) التي أنشأها العلماء وطلبة العلم ، وسوّي البعض منها على صاحبها الذي انزوى على ثغورها يجاهد ويعلم الناس ، وهو توجه يدعمه أمراء الدولة ، وسار على نهجه عامة أهل المغرب (69) ، وبعد سقوط ملك بني حمّاد تعاظم دور النخب العلمية عبر مدارس التعليم المنتشرة ذات الوظائف المتعددة (70) ، وظهرت الزوايا (71) اشتهر منها فترة حكمهم رباط أبو عبد الملك البوني ، الأسدي (تـ 439هـ / 1047م) شارح كتاب البخاري (72) ، هذه الشخصية المركزية لها تأثير علمي ملموس وأثار محمودة على المستوى العسكري ، ويعتبر هذا النموذج واحد من كثير الشخصيات المعروفة في الدّاخل والخارج ممّن شدّت إليهم الرّحال لغرض الجهاد والحراسة وطلب العلم أو العبادة.

وعند اشتداد سوء الحال ، ويتعاظم خطر التدخّل المسيحي ، نجد من هذين المبرّرين دافع للانزواء وملازمة الثّغور ، وربّما التّفريط في الأهل والرّضا بيسير العيش ، ويمكن التّمثيل لهذا الاتجاه بالشّاعر الذي عاش في قطر باجة (73) ، حمّاد بن علي ، أو "البين" كما

68- أنشأ المغاربة الرّباطات أسوة بالمشاركة كمراكز دفاع متقدّمة تحرس الثّغور من الأعداء ، ثمّ استعملوا بدلها اسم الزّوايا ؛ في دلالة على دورها الدّيني والعلمي ، وقصدوا بها مكان تجعّج المجاهدين للحراسة ، والأمر الثّاني هو مزاوله الصّالحين والعبّاد التّعليم والعبادة والرّهد. راجع في ذلك: حجّي محمّد ، الزّاوية الدّلائية ودورها الدّيني والعلمي والسّياسي ، مطبعة النّجاح الجديدة ، المغرب ، ط 2 ، 1409هـ / 1988م ، ص: 21.

69- ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص: 137.

70- الحسيني ، كمال دحمون ، أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري ، دار الخلدونية ، الجزائر ، ط 1 ، 2009م / 1429هـ ، ص: 93.

71- جاء في بعض التّراجم التي أوردها الغبريني الذي عاش في المائة السّابعة أسماء أربطة تأسّست نهاية القرن 6هـ وبداية 7هـ. انظر: الغبريني ، أحمد بن أحمد ، عنوان الدّرية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية ، تحقيق وتعليق: عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1979م / 1399هـ ، ص ص: 138-213.

72- ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق: مأمون بن محي الدّين الجنان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1417هـ / 1996م ، ص: 427.

73- هناك خمسة مواضع تحمل هذا الاسم حسب ياقوت الحموي ، والظاهر أنّها باجة إفريقية. انظر في ذلك: الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ج 1 ، دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1995م / 1415م ، ص: 314.

يَلْقَبُ (74)، أحد الشَّخصيَّات التي نقل عنها العمداء الأصفهاني شعراً معبراً عن الشُّوق للقاء الأهل ، يقابله رضا وقناعة بمسؤوليَّة فعله (75).

كان لهذا الاتجاه تأثير إيجابيٍّ أكثر من غيره ، إذ أسهم رَوَّاده في العمل الجهاديِّ عبر حراسة الثُّغور وتأسيس الرِّباطات ، وكان لهذا الاحتكاك تأثير على سمعتهم بين الأوساط الشَّعبية والرَّسمية ، وعلى المستوى الدَّاخلي سعى لتصحيح مفاهيم الإسلام المغلوطة (76).

أمَّا عن سوء الحال ، دفع تفاقم الأوضاع في المناطق التي انعدم فيها الأمن - إمَّا بسبب سطوة الأعراب أو الغزو المسيحي - بعض الشَّخصيَّات التي عاشت في بلاط بني زيري إلى النَّأي بالنَّفس ، والتَّزام الصَّمت (77)، كالشَّاعر ابن رشيقي المسيلي (ت. 456هـ/ 1064م)، أو تفضيل الهجرة لطلب العلم ثمَّ الاعتكاف وملازمة البيت ؛ كالفقيه الإباضي يوسف بن إبراهيم بن مِيَّاد (ت. 500هـ/ 1175م)، الذي لم يخرج من بيته سبعة أعوام (78)، بالإضافة إلى هؤلاء الأعلام ، عرف آخرون بمزاوتهم واعتكافهم على مهن الطِّبِّ والمداواة (79). أو غيرها من الحرف والصناعات التي احترفوها وأصبحوا يعرفون بها وكانت مصدر رزق لهم بعيداً عن جرايات وأعطيات الحكام.

ثانياً- سياسة المعارضة والتَّحدي:

ساهم أمراء الدَّولة الحمَّاديَّة بكلِّ كفاءة في إخماد الثُّورات ، وشارك حمَّاد إلى جانب بني عمومته الزَّيريين في القضاء على ثورة مخلص بن كيداد الخارجي ، وفي التَّصديِّ لثورات زناتة ، وتمرد مدن المغرب الأوسط عموماً ، وإذا كانت المصادر قد ركَّزت على الأحداث والشَّخصيَّات السِّياسية ، فإنَّ معارضة العلماء في الدولة الحمَّاديَّة كانت تتَّسم بطابع فكري ، لها منطريها ومن يحرك خيوطها.

74- لم أقف له على ترجمة.

75- الأصفهاني ، مصدر سابق ، ص ص: 185، 184.

76- بوتشيش ، إبراهيم القادري ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع الذهنيَّات الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنَّشر ، بيروت ، ط 1، 1993م/ 1413هـ، ص: 131.

77- الطَّمَّار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع ، 1981م/ 1401هـ، ص: 131.

78- كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلِّفين ، ج 13، مكتبة المثنى ، دار إحياء الثَّراث العربي ، بيروت ، بدون رقم الطَّبعة وتاريخها ، ص: 267.

79- ينظر في ذلك إلى: الصَّفدي ، صلاح الدين خليل ، نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعه الأستاذ: أحمد زكي بك ، المطبعة الجماليَّة ، مصر ، 1329هـ/ 1911م ، ص: 220. راجع كذلك: ابن أبي صبيعة ، أحمد بن قاسم ، عيون الأبناء في طبقات الأطبَّاء ، شرح وتحقيق: نزار رضا ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، ص: 497.

يحتاج كلامنا إلى شهادة حيّة من الواقع ، وأفضل مثال نبدأ به كدليل على توجّس الأمراء من الدّعاية والحرب الإعلامية ، إقدام حمّاد على قتل أحد فحول الشّعراء في ملكه ، وهو عبد الله بن محمّد ، أو الجراوي (ت. 415هـ / 1024م) ⁽⁸⁰⁾ كما يلقب ، وإقدامه على قتل أحد الفقهاء المدعو "ابن أبي توبة" ، حين اعترض على سياسة القتل دون تمييز ⁽⁸¹⁾. وإذا كانت هذه الأمثلة مجرد ردود أفعال عن ممارسات ، فهناك مثال آخر يمكن الاستدلال به على تمرد قام به أهالي القيروان وتونس على السّلطة بعد الفوضى ⁽⁸²⁾ ، وقد فضّل شيوخ وأعيان مدينة تونس تولية حاكم عليهم من قبل النّاصر الحمّادي ⁽⁸³⁾ ؛ وهنا نحاول الوقوف على مدلول ما جاء في المصادر من توصيف اللّجنة التي اختاروها من الأعيان والأشياخ ، فإدارة المدينة والشّورى ومجلس قضاؤها تُستوجب فيهم الكفاءة العلمية والسياسية والعسكرية ، ومنه يمكن القول بأنّ مواقف الأعيان وغيرهم لا تخلو من مشاركة فقهاءهم مباشرة أو بتأييد.

لم يخف النظام المرباطيّ مخاوفه من وقوع ثورات ، فبنيت الفكرية أسسها الفقهاء من وقت زعيمهم عبد الله بن ياسين -رحمه الله- (ت. 451هـ / 1059م) ، واجهت تيارات مناوئة ذات طابع مسالم ، ارتفع في وجه الأدباء التّقليديّين ⁽⁸⁴⁾ ، تماما كخوفهم من حركة ابن تومرت التي أطاحت بمملكته وبالمنظومات القائمة ذلك الوقت ⁽⁸⁵⁾ ، وتذكر المصادر أنّ الفقيه أبو بكر محمّد بن الحسين ، الذي اشتهر بالميورقي (ت. 537هـ / 1142م) ، لجأ إلى بجاية ⁽⁸⁶⁾

80- ابن رشيق ، الحسن بن رشيق ، انموذج الزّمان في شعراء القيروان ، جمعه وحققه: محمّد العروسي المطوي ، بشير البكوش ، الدّور التّونسيّة للنّشر ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب ، تونس ، الجزائر ، 1406هـ / 1986م ، ص: 216.

81- هكذا ورد اسمه في المصادر بلقبه دون ذكر اسمه كاملاً. ابن الأثير ، الكامل ، مصدر سابق ، ج 7 ، ص: 602.

82- ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص: 217.

83- ابن عذاري ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص: 315.

84 -BOYER. (P), Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe - XIXe siècles) in R. O. M. M., N°1, 1966, p: 12.

85- ابن أبي زرع الفاسي ، الأئيس المطرب بروض القرطاس ، المطبعة الوراق ، الرباط ، المغرب ، 1391م / 1972هـ ، ص: 174.

86- المقرئ ، أحمد بن محمّد ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب ، ج 2 ، تحقيق: إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1997م / 1417هـ ، ص: 155.

هرباً من المتابعة ، بعد أن أحسَّ النظام المرابطي بكثرة أتباعه (87)؛ ما يعني قِمة الارتياح السياسي والفكري الذي كانت تنعم به حواضر المغرب الأوسط (88). وفي دولة بني زيري ، كانت مساجدهم تشهد مقاطعة للجمعات (89) ، وترتفع أصوات القطيعة والمقاطعة بين الفينة والأخرى ، ويكفي أن ندلل على ذلك بأحد الأسئلة التي وردت على أحد فقهاءهم ، وهو أبو إسحاق التُّونسي (تـ 443هـ / 1051م) (90) من مدينة باغاية (91) ، من أعمال المغرب الأوسط ، تسأل عن حكم ولاية أحد الزوجين منسوب لطائفة شيعية من العبيديين (92) ، فأثارت إجابته المفصلة وتفريقه في الحكم في أحولهم حفيظة علماء تونس ، فناظروه ودعوه للعدول عن رأيه. إنَّ هذه الحادثة ، وربَّما غيرها الكثير من المسائل التي أثَّرت حول قضايا الطوائف ؛ كقضية امتحان النساء في عقائدهم قبل الزواج (93) ، كانت تستثار من حين لآخر خوفاً من اختراق النسيج الاجتماعي عبر المصاهرة والارتباط (94). يبدو أنَّ إجماع فقهاء المغرب الأوسط سار على رأي موحد أسوة بعلماهم في جميع الأقطار (95) ، ويرجع السبب للمكانة التي حظي بها أتباعه على المستوى الرسمي والشعبي ،

87- ابن الأثير ، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1420هـ / 2000م . ط 1. ص: 19.

88- حلاوي وداد ، الأبعاد التاريخية والثقافية لحاضرة بجاية (حتى نهاية القرن السابع هجري) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العقيد الحاج الأخضر ، باتنة ، (رسالة ماجستير ، مخطوطة) 2005م / 1426هـ ، ص: 32.

89- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص: 277.

90- الدَّبَّاع ، عبد الرَّحمان بن محمَّد ، معالم الإيمان ، ج 3 ، أكمله وعلَّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، بتحقيق وتعليق: محمَّد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، بدون رقم الطبعة وتاريخها ، ص: 177.

91- مدينة ذات طابع عسكري واقتصادي في العهد الحمَّادي ، تعرَّضت للعديد من الحملات من طرف القبائل الهلالية. راجع في ذلك: البكري ، المسالك والممالك ، مصدر سابق ، ص: 50.

92- الدَّبَّاع ، المصدر السابق مع الصفحة.

93- راجع في ذلك نازلة سئل عنها الفقيه عبد الله العبدوسي. الونشريسي ، أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل تونس والأندلس والمغرب ، ج 3 ، خرَّجه: جماعة من الفقهاء ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، ط 1 ، 1401هـ / 1981م ، ص: 88.

94- راجع في ذلك مسألة سئل عنها الفقيه أبو القاسم السيوري. نفس المصدر ، ج 2 ، ص: 445.

95- انظر في ذلك: التَّهامي إبراهيم ، جهود علماء المغرب في الدِّفاع عن عقيدة أهل السُّنة ، دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، ط 1 ، 1426هـ / 2005م ، ص: 196.

وسيطرة النّيار المالكي على السّاحة الدّعائية ، ويمكن التّمثيل بأحد فقهاءهم ، وهو أحمد بن نصر الدّاودي (ت. 402هـ/1010م) ⁽⁹⁶⁾ كمثال للمقاطعة ، ففي التّرجمة له أنّه عاش مهاجراً متنقلاً بعيداً عن موطنه ، وعبر عن موقفه بالمقاطعة ممّن رضي بالعيش في ديار يتبع أمراؤها للعبديّين ، كان ذلك في بداية تأسيس الدّولة.

بعض الفقهاء يعتبر رأي الهجرة والمقاطعة فردياً ، ويستندون إلى شيوخهم الذين عايشوا أجواء السّلطة واحتكوا بطوائف المشاركة ، حيث عالجوا ذلك عن قرب بالتأليف والدّعوة والمناظرة ، لذا لام القاضي عياض رحمه الله الفقيه الدّواودي واعتبر موقفه انفرادياً ، كونه لم يخالط ويتلمذ على يد علماء مرموقين ⁽⁹⁷⁾.

ويمكن الاستشهاد كذلك بأحد الشّخصيات العلمية التي استوطنت مدينة بجاية الحمّادية ، وموقفه لا يختلف كثيراً عن الدّاودي ، وهو أبو عبد الله محمّد بن عمّار الكلاعي الأندلسي (حيّاً 485هـ/1093م) ، حيث عبّر في قصيدة يوصي فيها ابنه بضرورة طاعة ولي الأمر الجائر ، ويحذّره من السّكن في ديار أمراء بني عبّيد ، ويحثّه على هجرة ديارهم ⁽⁹⁸⁾ ، وهي إشارة إلى انقطاع دعوتهم في المغرب الأوسط مع علوّ شأن مذهب أهل السّنة ، ومذهب الإمام مالك.

خاتمة:

بعد هذا العرض لدور الفقهاء والعلماء في العهد الحمّادي نخلص إلى أن هذا الدور قد تنوع وتعددت أشكاله ، فقد انخرطوا في الوظائف الإدارية خاصة القضاء وذلك للمنزلة العلمية التي حازوها بفضل علمهم وسمتهم والأخلاق التي تميزوا بها وجعلتهم بعيدين عن الرّيبة والجور في أحكامهم ، فتقلدوا منصب القضاء داخل الدولة الحمّادية وخارجها ، وذكرنا أمثلة عنهم ، بالإضافة إلى القضاء وجدنا خطة الكتابة التي كان لعلماء بجاية حظ فيها ، لبراعتهم وتمكنهم من أساليب الكتابة وفنونها ، فعينهم أمراء الدولة الحمّادية في هذه الخطة واستأمنوهم على أسرار الدولة.

ومع هذا الدور الذي أدّوه ، نجدهم قد ابتعدوا عن الحياة السياسية ولم يكن لهم دور كبير فيها نتيجة السياسة القمعية التي واجه بها الأمراء الحمّاديين كل من يتعرّض لحكمهم

96- بوعزيز يحيى ، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995م / 1415م ، ص: 30.

97- أبو الفضل ، عيّاض بن موسى ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج1 ، تحقيق: محمد بن تاووت الطّنجي ، طبعة وزارة الأوقاف المغربيّة ، ط2 ، 1403هـ/1983م ، ص: 102.

98- ابن مريم ، محمّد بن محمّد ، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان ، راجعه: محمّد ابن أبي شنب ، المطبعة الثّعالبية ، الجزائر ، 1336هـ/1908م ، ص: 16.

بالنقد أو المعارضة ، الأمر الذي دفع بالعلماء إلى اعتزال العمل السياسي والمشاركة فيه ، أو اتخاذ رباطات اعتكفوا فيها للعبادة والتعليم وحماية ثغور بلاد الإسلام بعيدا بلاطات الحكام وقصورهم .

أما الدور الأساسي والذي لم يتخلوا عنه هو دور التعليم ونقل المعرفة إلى طلبة العلم ، فقد كانت لهم مجالس علمية يجتمعون فيها لإلقاء دروسهم وعلومهم النقلية والعقلية ويتلقاها عنهم تلامذتهم ، فأثروا الساحة العلمية بهذا النشاط العلمي وكان وجهها مشرقا ومشرقا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير ، محمد بن عبد الله ، التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدارة زيددين في مجريط سنة 1886. 1889 ومن طبعة الشيخ قنزالش بلنسية في مجريط سنة 1915) ، ج2 ، عني بطبعه وتعليق حواشيه: ألفريد بال ، وابن أبي شنب ، المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا في زقاق بيليسي عدد: 3 بالجزائر ، 1337هـ/1919م .
2. ابن الأثير ، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدي ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1420هـ/2000م .
3. أثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، تحقيق: عمر عبد السلام مدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1417هـ/1997م .
4. الأصفهاني ، محمد بن صفى الدين ، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب) ، ج1 ، تحقيق: محمد المرزوقي ، وآخرون ، ط3 ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، 1986م/1406هـ .
5. ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك ، الصلة ، ج3 ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1410هـ/1989م .
6. البكري أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تحقيق: أدريان فان ليوفن وآخرون ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1992م/1412هـ .
7. البيهقي ، أبو بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، المغرب ، 1971م/1391هـ .
8. بوتشيش ، إبراهيم القادري ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع الذهني الأولياء) ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1993م/1413هـ .
9. التهامي إبراهيم ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، 1426هـ/2005م .
10. التيجاني ، عبد الله بن محمد ، رحلة التيجاني ، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1981م/1401هـ .
11. حجي محمد ، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ، ط2 ، مطبعة النجّاح الجديدة ، المغرب ، 1409هـ/1988م .

12. الحسيني، كمال دحمون، أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2009م/1429هـ.
13. حلاوي وداد، الأبعاد التاريخية والثقافية لحاضرة بجاية (حتى نهاية القرن السابع هجري)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العقيد الحاج الأخضر، باتنة، (رسالة ماجستير، مخطوطة) 2005م/1426هـ.
14. ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نكرة وآخرون، دار الصحو للنشر والتوزيع، القاهرة.
15. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م/1415م.
16. الحميدي، محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ، 1989م.
17. ابن حيّان، أبو مروان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م/1385هـ.
18. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، (القسم الثالث)، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م/1383هـ.
19. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، مراجعة: سهيل زكار وآخرون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1401هـ/1981م.
20. الدّباغ، عبد الرحمن بن محمد، معالم الإيمان، ج3، أكمله وعلّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، بتحقيق وتعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
21. ابن رشيّق، الحسن بن رشيّق، انموذج الزّمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدرر التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1406هـ/1986م.
22. بورويبة رشيد، الدولة الحمّادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م.
23. بورويبة رشيد، لقبال موسى وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م/1404هـ.
24. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المطبعة الوراق، الرباط، المغرب، 1972م/1391هـ.
25. ابن الزّيّات، يوسف بن يحيى، التّشوّف إلى رجال التّصوّف وأخبار أبي العبّاس السّبّتي، تحقيق: أحمد التّوفيق، ط1، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1404هـ/1984م.
26. ابن أبي صبيعة، أحمد بن قاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار الحياة، بيروت.

27. صفدي ، صلاح الدين خليل ، نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعه الأستاذ: أحمد زكي بك ، المطبعة الجمالية ، مصر ، 1329هـ/1911م.
28. الطَّمَّار محمَّد ، المغرب الأوسط في ظلِّ صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010م/1430هـ.
29. الطَّمَّار محمَّد ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981م/1401هـ.
30. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ج 17 ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون ، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1387هـ/1967م.
31. أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ج 5 ، تحقيق وتعليق: إحسان عباس وآخرون ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1201م/1432هـ.
32. ابن عذاري ، محمَّد بن محمَّد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان وآخرون ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م/1403هـ.
33. بوعزيز يحيى ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، 1995م/1415هـ.
34. العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح البخاري ، ج 11 ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي وآخرون ، ط 1 ، نشر المكتبة السلفية ، مصر ، 1380/1390هـ.
35. علاؤة عمَّار ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010م/1430هـ.
36. عمَّار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/14هـ) ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010م/1430هـ.
37. عنان عبد الله ، مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط ، مجلة الأصاله ، الجزائر ، عدد: 13 ، السنة الثالثة ، 1974م/1394هـ.
38. عويس عبد الحليم ، دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط 2 ، دار الصحوة للنشر للتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1411هـ/1991م.
39. أبو الفضل عبَّاس بن موسى ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ج 1 ، تحقيق: محمَّد بن تاويت الطنجي ، ط 2 ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية ، 1403هـ/1983م.
40. الغبريني ، أحمد بن أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق وتعليق: عادل نويهض ، ط 2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1979م/1399هـ.
41. ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ/1996م.
42. القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج 1 ، شرح وتعليق: محمَّد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407هـ/1987م.
43. كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ج 13 ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

44. المراكشي ، محيي الدين بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (الكتاب الثالث) ، تحقيق ، محمد سعيد العريان ، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويصة ، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
45. ابن مريم ، محمد بن محمد ، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان ، راجعه: محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1336هـ/1908م.
46. مغشيش عبد المالك ، النثر المغرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، دراسة تأصيلية فيّئة ، إشراف: عبد الرزاق بن السّبع ، أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب المغربي القديم ، كليّة الآداب واللغات ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 1435هـ/2014م.
47. مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار ، ج1 ، تحقيق: علي الرّاوي وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م/1408هـ.
48. المقرّي ، أحمد بن محمد ، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب ، ج2 ، تحقيق: إحسان عبّاس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997م/1417هـ.
49. الميلي ، محمد بن مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، تقديم: محمد الميلي ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر ، 1406هـ/1986م.
50. نور الدّين مسعودي ، دور عائلة بني حمدون في تثبيت أركان دولة الفاطميين بالمغرب (280-360هـ/970-893م) ، مجلّة الحكمة للدراسات التّاريخيّة ، الجزائر ، مجلّد: 6 ، عدد: 15 ، 2018م/1428هـ.
51. الهادي روجي إدريس ، الدّولة الصّنهاجيّة تاريخ إفريقيّة فيعهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م ، ج2 ، ترجمة: حمّادي السّاحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1992م/1412هـ.
52. الونشريسي ، أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل تونس والأندلس والمغرب ، ج3 ، خرّجه: جماعة من الفقهاء ، ط1 ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة للمملكة المغربيّة ، 1401هـ/1981م.
- 54-BOYER. (P), Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe -43 XIXe siècles) in R. O. M. M., N°1 ,1966.